مقدمة:

يعد مجتمع الواحات البحرية من المجتمعات التي تدخل في نطاق التصنيف الصحـــراوي بالنسبة لبقية المجتمعات الأخرى ، ونظرا لتمايز المجتمع الصحراوي لما له من نظم وطـــرق معيشة مختلفة تفرض على الباحث ألا يكتفي بالكتابات النظرية عن هذه المناطق ، فعلى الرغـم مما تقدمه هذه الدراسات من معلومات واقعية عن تلـك الأنمـاط المجتمعيـة إلا أن الدراسـة الميدانية لواقع المجتمع الفعلي وترجمة صورة حقيقة لما يشمله والوقوف على ما يمكن أن يسير عليه مستقبلا . كل هذا يعطي الدراسة الميدانية أهميتها .

أي أن الاهتمام بدراسة المجتمعات الصحراوية يعكس أهميتها سواء جغرافياً أو اقتصاديـاً أو ثقافياً ، أو من زاوية نمط الحياة الصحراوية ، كما أن الاهتمام بدراســـة التغـير وأسـبابه المختلفة التي تؤثر في جميع هذه الجوانب يفيدنا في معرفة كيف تم هذا التغير وفي أي اتجاه .

وغني عن البيان فإن الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية تشهد تحولاً عميقاً في النظـــرة إلى طبيعتها والهدف منها والمناهج التي تتبعها وأساليب البحث التي تطبقها وهو تحول يسـتحق التسجيل نظراً لما يضفيه عليها من عمق في الفهم والتحليل والتأصيل سواء في أطرها النظريـة أو المنهجية.

ويمكن لنا أن نميز عبر هذا التحول أمراً يتضح في الكتابات الأنثروبولوجيـــة الحديثـة ويتمثل في الاهتمام المتناهي بدراسة موضوع " الاتصال الثقافي " بيـــن الجماعـات العرقيـة بعملياته واستجاباته وعوامله . وذلك راجع إلى زيادة الاهتمام بديناميات التكيف الثقـــافي مـن ناحية وزيادة انتشار هذه الجماعات من ناحية أخرى ، وبصدد هذا الموضوع فيجب ألا نعتـــبر أن الاتصال الثقافي مجرد نقل عناصر من ثقافة لأخرى ، قدر ما هو عملية تفاعل مستمرة بيـن جماعات تحمل ثقافات مختلفة على نحو ما سنرى في هذه الدراسة عن الاتصال الثقـــافي بيـن الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية بالواحات البحرية ، حيث أن الدور الذي يقوم به الاتصـــال الثقافي غالباً هو خلق أو تسهيل عملية التفاهم بين الجماعات والأفراد الذين تضمهم ، فيما قـــد يكسبهم معني الوحدة الثقافية وينسج شبكة من العادات والعرف أو التوقعات المتبادلة التي تربـط معاً وحدات اجتماعية أو جماعات اجتماعية، وهو إضافة ، يحفظ ما يمكن تســميته بالانســجام

مقدمة:

يعد مجتمع الواحات البحرية من المجتمعات التي تدخل في نطاق التصنيف الصحـــراوي بالنسبة لبقية المجتمعات الأخرى ، ونظرا لتمايز المجتمع الصحراوي لما له من نظم وطـــرق معيشة مختلفة تفرض على الباحث ألا يكتفي بالكتابات النظرية عن هذه المناطق ، فعلى الرغـم مما تقدمه هذه الدراسات من معلومات واقعية عن تلـك الأنمـاط المجتمعيـة إلا أن الدراسـة الميدانية لواقع المجتمع الفعلي وترجمة صورة حقيقة لما يشمله والوقوف على ما يمكن أن يسير عليه مستقبلا . كل هذا يعطي الدراسة الميدانية أهميتها .

أي أن الاهتمام بدراسة المجتمعات الصحراوية يعكس أهميتها سواء جغرافياً أو اقتصاديـاً أو ثقافياً ، أو من زاوية نمط الحياة الصحراوية ، كما أن الاهتمام بدراســـة التغـير وأسـبابه المختلفة التي تؤثر في جميع هذه الجوانب يفيدنا في معرفة كيف تم هذا التغير وفي أي اتجاه .

وغني عن البيان فإن الدراسات والبحوث الأنثروبولوجية تشهد تحولاً عميقاً في النظـــرة إلى طبيعتها والهدف منها والمناهج التي تتبعها وأساليب البحث التي تطبقها وهو تحول يسـتحق التسجيل نظراً لما يضفيه عليها من عمق في الفهم والتحليل والتأصيل سواء في أطرها النظريـة أو المنهجية.

ويمكن لنا أن نميز عبر هذا التحول أمراً يتضح في الكتابات الأنثروبولوجيـــة الحديثـة ويتمثل في الاهتمام المتناهي بدراسة موضوع " الاتصال الثقافي " بيـــن الجماعـات العرقيـة بعملياته واستجاباته وعوامله . وذلك راجع إلى زيادة الاهتمام بديناميات التكيف الثقـــافي مـن ناحية وزيادة انتشار هذه الجماعات من ناحية أخرى ، وبصدد هذا الموضوع فيجب ألا نعتـبر أن الاتصال الثقافي مجرد نقل عناصر من ثقافة لأخرى ، قدر ما هو عملية تفاعل مستمرة بيـن جماعات تحمل ثقافات مختلفة على نحو ما سنرى في هذه الدراسة عن الاتصال الثقـافي بيـن الجماعات الوافدة والجماعة الأصلية بالواحات البحرية ، حيث أن الدور الذي يقوم به الاتصـال الثقافي غالباً هو خلق أو تسهيل عملية التفاهم بين الجماعات والأفراد الذين تضمهم ، فيما قـــد يكسبهم معني الوحدة الثقافية وينسج شبكة من العادات والعرف أو التوقعات المتبادلة التي تربـط معاً وحدات اجتماعية أو جماعات اجتماعية، وهو إضافة ، يحفظ ما يمكن تسـميته بالانسـجام

الضروري الذي يمكن من العمل في طرق متعددة وأن وظيفته تتمثل في الحفاظ على وحدة وتكامل الجماعة الاجتماعية في بعديها المكاني والزماني .

وعلى أية حال فإن النسق الاجتماعي إذا ما اشتمل على جماعات إثنية متعددة فإن الاتصال يكون حتماً بينها ، وقد يترتب عليه في المدى الطويل نوع من التكيف الثقافي أو التمثيل الثقافي.

والجدير بالذكر أن الدراسات التي تناولت موضوع الاتصال الثقافي بين الجماعات الاثنية قد أبرزت المشكلات المتعلقة بالعلاقات السلالية ، ونظرا لأن مجتمع الواحات البحرية يجمع أنماطا ثقافية متباينة فإن الدراسة الحالية تسعى إلى معرفة طبيعة ونوعية العلاقات السائدة بينهم ، وهل يغلب عليها طابع التعاون أو المنافسة أو الصراع وإلى أي حد حققت هذه الجماعات فيما بينهم نوعا من التكيف أو التمثيل الثقافي.

وانطلاقاً من أن دراسة هذه الجماعات التى تعيش جنباً إلى جنب على الرغم من اختلاف ثقافاتها وتباينها يمكن فى أن يفيد إلى حد كبير إذا ما أريد معرفة طبيعة ونوعية العلاقات السائدة بينها ، هل يغلب عليها طابع التعاون أو المنافسة أو الصراع وإلى أى حد حققت هذه الجماعات فيما بينها نوعاً من التكيف الثقافى أو التمثيل الثقافى مام يلقى الضوء على طبيعة ونوعية المشكلات التى يصادفها المجتمع التقليدى فى مرحلة التغير ، وفى فترة استيعابه للجماعات الوافدة والمختلفة ثقافياً مما يمكن أخذه فى الاعتبار عند وضع المزيد من مشروعات التنمية الاجتماعية والاقتصادية المستقبلية ، خاصة إذا ما أمكننا إدراك الآثار المترتبة على تواجد هذه الجماعات معاً.

فى أهمية الموضوع:

يعد موضوع الاتصال الثقافي من موضوعات الحيوية الهامة فى الدراسات الانثروبولوجية، وذلك لكونه عماد الحياة الإنسانية ، فلا يوجد مجتمع يعيش بمعزل عن الآخر عزلة مطلقة ، ولكن وأن فرض ووجد هذا المجتمع المنعزل تكون العزلة نسبية ، وهذا ما حدث فى مجتمع الواحات البحرية.– مجتمع البحث – فقد ظل زمنا طويلا فى عزلة عن المجتمع الكبير وذلك لسوء وصعوبة الانتقال منه وإليه حتى بداية السبعينات أى بعد اكتشاف خام الحديد به ، وما ترتب عليه من شق وتمهيد ورصف الطرق المؤدية إليه إضافة إلى دخول الكهرباء من السد العالى – ومن هنا عرفت الواحة النور – وظهور مجتمع التعمير الذى ضم جماعات وافدة من وادى النيل وقد عاشت هذه الجماعات الوافدة فى مناطق يطلق عليها "القصع" وهى عبارة عن خمسة تجمعات سكانية متجاورة ،هذه الجماعات الوافدة عاشت جنبا إلى جنب مع أبناء المجتمع الأصلى ، وربطت بينهم علاقات جوار أدت تغير فى شبكة العلاقات الاجتماعية. وبالطبع فإن عملية الجوار بين الثقافات المختلفة ينتج عنها زيادة فى المعرفة بمجالات جديدة فى بعض نواحى الحياة – كما يذكر روبرت ليتون R. Layton نتيجة الاحتكاك بين هذه الثقافات المختلفة ، هذا بالإضافة إلى أن الواحة قد تعرضت لموجات من التبادل السكانى بعضها جاء من ليبيا فى صورة غزوات أو بعض القبائل البدوية النازحة إليها. أى أن هذه الواحة تجمع أنماطا متباينة من الثقافات نتيجة وجود خليط من مجموعات سكانية مختلفة وافدة إليها.

وهذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن نوعية العلاقات الاجتماعية التى ترتبت على هذا الاتصال، أى ليس الأمر مجرد اكتساب أنماط أو سمات ثقافية جديدة وإنما قد يترتب عليه وبطريقة واضحة ظهور نوع جديد من العلاقات الاجتماعية. وتأتى أهمية هذه الدراسة فى كونها تهتم بالمجتمعات الصحراوية التى تعانى من قلة الدراسات حول هذا الموضوع أى غيبة الدراسات العلمية السوسيولوجية والانثروبولوجية حول الموضوع الذى استقطب جماعات اجتماعية من وادى النيل لتعيش جنباً إلى جنب مع أبناء الواحات البحرية وتكونت علاقات اجتماعية فيما بينهم نتيجة التفاعل الاجتماعى الحادث بينهم فأثرت وتأثرت كل جماعة بالأخرى ، ومن الملاحظ تزايد الدور الذى تلعبه الجماعات الوافدة بشكل عام على المجتمع الذى تفد إليه مع اهتماما الحكومات والمنظمات بهذه الجماعات الوافدة لما لها من تأثير فى البناء الاجتماعى

داخل المجتمع الذى تنتسب إليه ، علما بأن الوقت الحاضر يشهد تطوراً متلاحقاً فـــى دراســة موضوع الاتصال الثقافى وبالذات فى مجال الدراسات الانثربولوجية ، كمـــا تكمــن الأهميــة النظرية للدراسة فى انطلاقها فى تحليل المادة الميدانية "الاثنوجرافية" فى ضوء بعض القضايــا النظرية مثل النظرية الوظيفية والاتصال والتغير الثقافى. على حين تبدو أهميتها التطبيقية فـــى لفت انتباه المسئولين ومخططى البرامج الاقتصادية والاجتماعية فى مجتمع الواحات البحرية من حيث تأثير الاتصال الثقافى بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة فى العلاقات الاجتماعيـــة والأنشطة الاقتصادية وإلى أى حد بلغت هذه العلاقات أى معرفة أثر هذا الاتصال الثقافى علـــى مجتمع الواحات البحرية وإلى أى حد غير فى فكر هذا المجتمع مـــن خـــلال التـــأثير والتـــأثر بالجماعات الوافدة.

مشكلة الدراسة وتساؤلاتها :

تعد الواحات البحرية منطقة جذب لعناصر سكانية تحمل معها ثقافات مختلفة ، مما أتاح الفرصة للاحتكاك الثقافى بين السكان الأصليين والجماعات الوافدة ، مما كان له أثره على أبناء المجتمع الأصلى من خلال انتقال سمات ثقافية جديدة له. وهذه الدراسة تسعى إلى الكشف عن أثر التفاعل الناتج عن هذا الاتصال والتعرف على مدى التمايز الثقافى بينهما : أى معرفة ما ترتب على هذا الاحتكاك فى بعض عناصر الثقافة المادية واللامادية حيث أى أغلب الاهتمام المتعلق بموضوع الاتصال الثقافى ينصب على دراسة مشكلة الاتصال وأثر ذلك الاحتكاك - الاتصال - فى الثقافات التقليدية السائدة بالمجتمع الأصلى. أى دراسة التأثير والتأثر المتبادل بين الثقافات المحلية والوافدة.

ولكى يصل الباحث إلى صياغة محددة وواضحة لمشكلة بحثه فقد طرح مجموعة تساؤلات تمثل الإجابة عليها مدخلاً لفهم هذه المشكلة ، ومحاولة لتحقيق أهداف الدراسة . ويمكن إجمال هذه التساؤلات فى تساؤل عريض هو:

ما هو تأثير الاتصال الثقافى بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة فى مجتمع الواحات البحرية على العلاقات الاجتماعية والنشاط الاقتصادى واللغة والثقافة السائدة ؟

وبناء على هذا التساؤل العريض ، تثار تساؤلات فرعية ، تزيد فى توضيح أبعاد هذه الدراسة وأهدافها كالتالى :

- ما أثر الاتصال الثقافى على العلاقات الاجتماعية ؟
- ما أثر العلاقات الاجتماعية على الاتصال الثقافى ؟
- ما أثر الاتصال الثقافى على العلاقات الاقتصادية ؟
- ما أثر العلاقات الاقتصادية على الاتصال الثقافى ؟
- إلى أى مدى أثر الاتصال الثقافى على اللهجة المحلية ؟
- إلى أى مدى أثر الاتصال الثقافى على الميل نحو التغير فى الثقافة السائدة ؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة نحو تحقيق هدفين أساسين هما : الأول : تحقيق التحليل الوصفي العلمي لطبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة بالواحات البحرية. أى محاولة إلقاء الضوء على طبيعة العلاقات بين الجماعة الأصلية والجماعات الوافدة والكشف عما إذا كان هناك نوعاً من التكيف أو التمثيل الثقافى حدث بينهما من عدمه.

الثاني : يتمثل في التعرف على عمليات واستجابات الاتصال الثقافي بين الجماعات المعنية والتي تؤدي إلى التكيف والتمثيل الثقافي أو تحول دون ذلك .